الدرس (١٧١) من شرح رياض الصالحين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فنواصل القراءة في كتاب رياض الصالحين لأبي زكريا النووي رحمه الله تعالى.

يقول المصنف أبو زكريا يحيى بن شرف النووي رحمه الله تعالى:

١٦٧- باب استحباب طلب الرفقة وتأميرهم عَلَى أنفسهم واحدا يطيعونه

هذا من جملة الآداب الَّتِي ينبغي أن يتحلَّى بها المسافر: ألَّا يسافر وحده إلَّا أن يُضْطَرَّ، وإلَّا فإنَّ عليه أن يطلب الرِّفقة، حتَّى يكونوا معه في سفره.

يقول المصنف رحمه الله تعالى:

٩٥٨- (عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ أَنَّ النَّاسَ يَعْلَمُونَ مِنَ الوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُ، مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ!**» رَوَاهُ البُخَارِيُّ[١]).

قوله: «لَوْ أَنَّ النَّاسَ يَعْلَمُونَ مِنَ الوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُ» أي الذي أعلمه من الآفات التي تحصل من ذلك.

قوله: «مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ!» فيه: التحذير من سفر الإنسان بالليل وحده، وقيده بالليل لأن الخطر بالليل أكثر ، والتحرز منه أصعب.

---

(١) رواه البخاريُّ (٢٩٩٨).

قال الشيخ العثيمين رحمه الله: "وهذا في الأسفار التي تتحقق فيها الوحدة وأما ما يكون في الخطوط العامرة التي لا تكاد تمر فيها دقيقة واحدة إلا وتمر بك فيها سيارة فهذا وإن كان الإنسان في سيارة وحده فليس من هذا الباب أي ليس من باب السفر وحده لأن الخطوط الآن عامرة من محافظة لأخرى ومن مدينة لثانية وما أشبه ذلك فلا يدخل في النهي".

يقول المصنف رحمه الله تعالى:

٩٥٩- (وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الرَّاكِبُ شَيْطَانٌ، وَالرَّاكِبَانِ شَيْطَانَانِ، وَالثَّلَاثَةُ رَكْبٌ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُد والتِّرمذيُّ والنَّسائِيُّ بأسانيد صحيحةٍ[٢]، وقال التِّرمذيُّ: حديث حسن).

هذا الحديث فيه كما سبق: التَّحذير من الوحدة، وأنَّ المرء ينبغي أن يطلب الرُّفقة في السَّفر، ولا يكفي أيضًا أن يكون معه شخص واحد، بل يكونوا ثلاثة فأكثر؛ لأنَّ الثَّلاثة كما أخبر نبيُّنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في هذا الحديث ركبٌ، أمَّا الواحد والاثنان فإنَّ ذلك لا يكفي في تحقُّق مصلحة الإنسان وسلامته من الآفات.

يقول المصنف رحمه الله تعالى:

٩٦٠- (وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ**» حديثٌ حسنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُد بإسنادٍ حسن[٣]).

هذا فيه: أنَّ من السُّنَّة إذا خرج رفقة في سفر أن يُؤَمِّروا على أنفسهم واحدًا منهم، وذلك أضبط لأمورهم، وأسلم لهم من الفوضى، وأيضًا يكون بذلك أمرهم جميعًا ولا يتفرَّق بهم الرَّأي، ولا يقع بينهم مشاحَّة أو خلاف، فهذا فيه مصلحة عظيمة، ويقصد بجعله أميرًا أن تنضبط لهم أمور السَّفر، ولا يحصل بينهم خلاف أو شحناء أو نحو ذلك.

---

(٢) رواه أبو داود (٢٦٠٧)، والتِّرمذيُّ (١٦٧٤)، وحسَّنه الألبانِيُّ.

(٣) رواه أبو داود (٢٦٠٨)، وقال الألبانِيُّ: «حسن صحيح».

وإمرة أمير السَّفر وطاعته إنَّما تجب بما يتعلَّق بمصالح السَّفر وشؤونه من الارتحال والإقامة والسُّكنى والطَّعام وأشياء من هذا القبيل، أمَّا أمور الإنسان الخاصَّة فلا علاقة لأمير السَّفر فيها، فلا تجب فيها طاعته.

وأيضًا يراعى عند اختياره الأصلح فهمًا وخبرةً وبصيرةً بالأمور، وأيضًا ينبغي لأمير السَّفر أن يحرص على المصلحة ويشاور رفقاءه، وينظر في الأصلح لهم في سفرهم، ولا يكون مُسْتبدًّا برأيه، فبمثل هذه الأخلاق العظيمة والآداب الكريمة الَّتِي دعا إليها النَّبِيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، تتحقَّق المصلحة للمسافرين.

يقول المصنف رحمه الله تعالى:

٩٦١- (وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُ الصَّحَابَةِ أَرْبَعَةٌ، وَخَيْرُ السَّرَايَا أَرْبَعُمِئَةٍ، وَخَيْرُ الجُيُوشِ أَرْبَعَةُ آلافٍ، وَلَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُد والتِّرمذيُّ(٤)، وقال: حديث حسن).

قوله: «**خَيْرُ الصَّحَابَةِ**»، أي: الأصحاب والرّفقة، «**أَرْبَعَةٌ**»، أي: فما زاد على ذلك.

وقوله: «**وَخَيْرُ السَّرَايَا**»، السَّرايا: جمع سريَّة، والسَّريَّة: هي القطعة من الجيش.

الشَّاهد من هذا الحديث: هو الجملة الأولى منه، لكنَّ الحديث في إسناده ضعف؛ فقد أعلّه أبو داود والترمذي بالإرسال.

يقول المصنف رحمه الله تعالى:

١٦٨- باب آداب السير والنزول والمبيت والنوم في السفر واستحباب السُّرَى والرفق بالدواب ومراعاة مصلحتها وأمر من قصّر في حقها بالقيام بحقها وجواز الإرداف عَلَى الدابة إِذَا كانت تطيق ذلك

(٤) رواه أبو داود (٢٦١١)، والتِّرمذيُّ (١٥٥٥)، وصعّفه الألبانِيُّ.

هذه جملة من الآداب الَّتِي عقد لها المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ هذه التَّرجمة، ويأتي تبيانها فيما أورده وساقه رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أحاديث.

يقول المصنف رحمه الله تعالى:

٩٦٢- (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا سَافَرْتُمْ فِي الخِصْبِ، فَأَعْطُوا الْإِبِلَ حَظَّهَا مِنَ الْأَرْضِ، وَإِذَا سَافَرْتُمْ فِي الجَدْبِ، فَأَسْرِعُوا عَلَيْهَا السَّيْرَ، وَبَادِرُوا بِهَا نِقْيَهَا، وَإِذَا عَرَّسْتُمْ، فَاجْتَنِبُوا الطَّرِيقَ؛ فَإِنَّهَا طُرُقُ الدَّوَابِّ، وَمَأْوَى الهَوَامِّ بِاللَّيْلِ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٥).

مَعنَى «أَعْطُوا الْإِبِلَ حَظَّهَا مِنَ الْأَرْضِ» أَيْ: ارْفُقُوا بِهَا فِي السَّيْرِ لِتَرْعَى فِي حَالِ سَيْرِهَا، وَقوله: «نِقْيَهَا» هُوَ بكسر النُّون وإسكان القاف وبالياءِ المُثَنَّاة من تَحْت، وَهُوَ: المُخُّ، معناه: أَسْرِعُوا بِهَا حَتَّى تَصِلُوا المَقصِدَ قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ مُخُّهَا مِنْ ضَنْكِ السَّيْرِ. وَ«التَّعْرِيسُ»: النُّزولُ فِي اللَّيلِ).

هذا الحديث له تعلُّق بالرِّفق بالدَّوابِّ في السَّفر، وأنَّ المسافر ينبغي أن يراعي حاجة الدَّوابِّ للطَّعام والشَّراب، وإذا مرَّ في الطَّريق بمكانٍ خصب، أي: فيه عشب ؛ فإنَّه يرفق بها في السَّير لترعى، وتأخذ نصيبها من الطَّعام، لا أن تمرَّ على الأرض الخصبة الجيِّدة الطَّيِّبة مسرعةً لا تقف عندها، فتحرم من قوتٍ تحتاج إليه.

وقوله: «**وَإِذَا سَافَرْتُمْ فِي الجَدْبِ، فَأَسْرِعُوا عَلَيْهَا السَّيْرَ، وَبَادِرُوا بِهَا نِقْيَهَا**» وبيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ النِّقي: هو المُخُّ، والمعنى: أسرعوا بها حتَّى تصلوا المقصد قبل أن يذهب مخُّها.

وقوله: «**وَإِذَا عَرَّسْتُمْ**» التَّعريس: هو النُّزول للمبيت في اللَّيل، «فاجتنبوا الطَّريق»: وهذا فيه أدب من آداب التَّعريس باللَّيل، أي: النَّوم، أن يتجنَّب الإنسان الطَّريق، وبيَّن السَّبب، قال: «**فَإِنَّهَا طُرُقُ الدَّوَابِّ**»، أي: في سيرها، فربَّما نام الإنسان في الطَّريق فوطأته الدَّوابُّ

---

(٥) رواه مسلم (١٩٢٦).

وأهلكته، وأيضًا هو مأوى الهوامِّ باللَّيل؛ لأنَّها ربَّما تجد شيئًا يكون ساقطًا من المسافر، أو نحو ذلك، فربَّما أيضًا آذت هذا المسافر إذا نام في الطَّريق.

وهذا كلُّه من كمال هذا الدِّين العظيم، وأنَّه مع الإنسان مُسَدِّدًا ومرشدًا في كُلِّ شيءٍ، حتَّى في طريق سفره أين ينام، وكيف يصنع، وشاملًا لكُلِّ خيرٍ وراحةٍ وبركةٍ للإنسان في جميع شؤونه.

يقول المصنف رحمه الله تعالى:

٩٦٣- (وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ، فَعَرَّسَ بِلَيْلٍ اضْطَجَعَ عَلَى يَمِينِهِ، وَإِذَا عَرَّسَ قُبَيْلَ الصُّبْحِ نَصَبَ ذِرَاعَهُ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى كَفِّهِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[٦].

قَالَ العلماءُ: إِنَّمَا نَصَبَ ذِرَاعَهُ لِئَلَّا يَسْتَغْرِقَ فِي النَّوْمِ، فَتَفُوتَ صَلَاةُ الصُّبْحِ عَنْ وَقْتِهَا أَوْ عَنْ أَوَّلِ وَقْتِهَا).

هذا الحديث فيه أدب من آداب السَّفر: أن يريح الإنسان نفسه، وأن يأخذ حظَّه من الرَّاحة، وكان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من هديه إذا عرَّس بليلٍ، أي: نزل باللَّيل للرَّاحة من أجل النَّوم وإراحة البدن، اضطجع على يمينه، واضعًا خدَّه على بطن كفِّ يده اليمنى ، وإذا عرَّس قبيل الصُّبح، أي: قرب وقت صلاة الصُّبح، نصب ذراعه ووضع رأسه على كفِّه، وهذه الطَّريقة في النَّوم تجعل الإنسان يأخذ شيئًا من الرَّاحة، لكنّه لا يستغرق في النَّوم.

وهذا يُبَيِّن أنَّ الصَّلاة المفروضة يجب أن يهتمَّ بها الإنسان حتَّى مع جهده وتعبه ونصبه وفي سفره، مع أنَّ واقع عدد من النَّاس عند التَّعب، أو في السَّفر، يفوِّت هذه الصَّلاة ، وهذا ناشئ من ضعف تعظيمها.

والإنسان له أن يأخذ حظَّه من الرَّاحة لكن لا يغفل العبادة ولا يُضَيِّعها، ولا يُضَيِّع أوقاتها الَّتِي افترضها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليه، بل هذا أمرٌ في غاية الخطورة، وإذا كان رأس الإنسان يثقل

---

(٦) رواه مسلم (٦٨٣).

عن الصَّلاة المكتوبة، فهو عرضة للعقوبة يوم يلقى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا سيَّما وأنَّ أوَّل ما يُسْأل عنه العبد يوم القيامة هو صلاته.

ونصب النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذراعه ووضع رأسه على كفه بهذه الطَّريقة، يفيدنا فائدة عظيمة: ألا وهي أهمِّيَّة استخدام الوسائل المعينة على التَّيقُّظ للصَّلاة، ومن ذلك أن يستعمل مثلًا وسائل التَّنبيه الحديثة السَّاعة الَّتِي لها صوت مُنَبِّه، أو نحو ذلك من الأمور.

المُهِمُّ أنَّ الواجب على المسلم أن يتَّقي الله عَزَّوَجَلَّ في هذه الصَّلاة، وأن يحافظ عليها في أوقاتها في السَّفر والحضر، كما أمره الله بذلك، وكما كان عليه هدي النَّبِيِّ ﷺ.

يقول المصنف رحمه الله تعالى:

٩٦٤- (وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالدُّلْجَةِ، فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُد[٧] بإسناد حسن.

«الدُّلْجَةُ»: السَّيْرُ في اللَّيْلِ).

وأيضًا يقال: إنَّ الدُّلْجة: هي السَّير آخر اللَّيل، والسَّير آخر اللَّيل أنشط للدَّوابِّ؛ لأنَّ ذلك الوقت يكون مريحًا لها.

وفي الحديث: أنَّ الأرض تُطْوى باللَّيل، وهذا من تيسير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للمسافر.

وفيه: فضل السَّير في هذا الوقت، وقد قال العلماء رحمهم الله تعالى: كما أنَّ السَّير في أسفار الدُّنيا بالأبدان والرَّواحل مُفَضَّل في هذا الوقت، فإنَّ السَّير إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالقلوب والطَّاعة أيضًا له شأنه في هذا الوقت، وقت النُّزول الإلهيِّ، كما في الحديث: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كل ليلة**»، فهو وقتٌ شريفٌ فاضلٌ للطَّاعة والعبادة، والتَّقرُّب إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

يقول المصنف رحمه الله تعالى:

٩٦٥- (وَعَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا مَنْزِلًا تَفَرَّقُوا فِي الشِّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشِّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنَ**

---

(٧) رواه أبو داود (٢٥٧١)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

الشَّيْطَانِ!» فَلَمْ يَنْزِلُوا بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلًا إِلَّا انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُد[٨] بإسناد حسن).

هذا الحديث فيه: أدب من آداب النُّزول والمبيت في أثناء السَّفر في موضعٍ من الطَّريق، أنَّ يبيتوا متقاربين لا أن يتفرَّقوا ، وأخبر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنَّ هذا التَّفرُّق من الشَّيطان، والله عَزَّوَجَلَّ يُحِبُّ من عباده الاجتماع والتَّقارب، وأيضًا هذا أحفظ لهم وأسلم إذا كانوا جميعًا، لو داهمهم شيء مؤذ أو نحو ذلك، كان كُلٌّ منهم قريبٌ من أخيه.

يقول المصنف رحمه الله تعالى:

٩٦٦- (وَعَنْ سَهْلِ بْنِ عَمْرٍو -وَقِيلَ: سَهْلِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيِّ المَعْرُوفِ بِابْنِ الحَنْظَلِيَّةِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَعِيرٍ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِهِ، فَقَالَ: «**اتَّقُوا اللهَ فِي هَذِهِ البَهَائِمِ المُعْجَمَةِ، فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً، وَكُلُوهَا صَالِحَةً**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُد[٩] بإسناد صحيح).

هذا الحديث فيه: كمال رحمة الإسلام، وأنَّ رحمته شاملة حتَّى بهيمة الأنعام، فالنَّبِيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مرَّ ببعيرٍ قد لحق ظهره ببطنه، أي: من شدَّة جوعه وهُزَاله، وأنَّ صاحبه كان يستعمله وينتفع به، ولكنه لم يكن معتنيًا بغذائه، فقال عليه الصلاة والسلام: «**اتَّقُوا اللهَ فِي هَذِهِ البَهَائِمِ المُعْجَمَةِ**»، أي خافوا الله في هذه البهائم ، والبهائم: يطلق على ما يسير على أربعة قوائم، و«**المُعْجَمَة**»، أي: الَّتِي لا تتكلَّم ولا تعبِّر عمَّا في نفسها، فإن كانت جائعة لا تستطيع أن تعبِّر عمَّا في نفسها من جوعٍ.

فالواجب على صاحبها أن يحسن التَّعامل معها، وأن يطعمها كفايتها من غذاءٍ وشرابٍ، وألَّا يسيء إليها.

---

(٨) رواه أبو داود (٢٦٢٨)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

(٩) رواه أبو داود (٢٥٤٨)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

قال: «فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً، وَكُلُوهَا صَالِحَةً»، أي: بعد أن تكونوا قد أحسنتم إليها بالطَّعام والغذاء، فإنَّها تكون صالحة، وحينئذٍ إن شئتم فاركبوها، وإن شئتم فكلوها.

هذا ونسأل الله الكريم أن ينفعنا أجمعين بما علمنا، وأن يزيدنا علمـًا وتوفيقـًا، وأن يصلح لنا شأننا كله؛ إنه سميع قريب مجيب. وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.